نحو بناء معجم مدرسي موسوعي للتلميذ المغربي

الفيلالي عبد الكريم

مقدمة

عرفت الحضارة العربية الإسلامية نشاطا مكثفا في صناعة المعاجم اللغوية، كان منطلقها الأساس في البداية جمع اللغة وحفظها، ثم نشأت المعاجم المتخصصة، ووُضعت مختصرات لبعض المعاجم لتيسير استفادة المتعلمين منها[1]، وإن لم تراع عملية التدرج لتشمل جميع الفئات العمرية، كما وضعت كتب اللحن لتقويم لسان العامة.

وفي العصر الحديث مع بداية النهضة ألف اليسوعيون معاجم[2] في محاولة منهم لسد الخصاص القائم لحظتئذ، ثم أنشئت في ما بعد المجامع اللغوية التي اهتمت بالتأليف المعجمي[3].

ويكتسي المعجم المدرسي أهمية كبيرة في التعلم إذ ييسر للتلميذ عملية البحث عن الكلمات المستغلقة كما يوسع رصيده المعجمي بإضافة كلمات جديدة إلى ذاكرته، يقول عبد العزيز العماري: «عندما يتعود متعلم اللغة العربية على التعامل مع القاموس فإنه يصبح مدمنا على البحث المعجمي، ذلك أن المعجم معلم حيٌّ، فلا يكاد يفتحه التلميذ أو الطالب أو المعلم أو غيرهم ليبحث فيه عن معنى كلمة حتى يجد نفسه مجرورا إلى فضول معجمي جديد، وتكون

يكتسي المعجم المدرسي أهمية كبيرة في التعلم إذ ييسر للتلميذ عملية البحث عن الكلمات المستغلقة كما يوسع رصيده المعجمي بإضافة كلمات جديدة إلى ذاكرته، يقول عبد العزيز العماري: «عندما يتعود متعلم اللغة العربية على التعامل مع القاموس فإنه يصبح مدمنا على البحث المعجمي، ذلك أن المعجم معلم حيٌّ، فلا يكاد يفتحه التلميذ أو الطالب أو المعلم أو غيرهم ليبحث فيه عن معنى كلمة حتى يجد نفسه مجرورا إلى فضول معجمي جديد

النتيجة أنه يخرج غانما كالتاجر الذي يخرج من السوق وهو رابح ربحا أكبر مما كان ينتظره»[4].

ويرى كثير من الدارسين أن المعاجم العربية الحديثة سواء تلك الموجهة لعامة الناس أو الموجهة للمتعلمين تعوزها الدقة والشمول والاستقصاء ومسايرة معاني الكلمات المستحدثة، فنجد عبد القادر الفاسي الفهري يتعجب من الأمر قائلا: «وتعجب أن تجد هذا الرّكام من المعاجم بأسماء مغايرة، وهي تكرر أساسا نفس المادة القديمة، ويستنسخ بعضها، دون جهد كبير في التنظيم والتهذيب والربط بين المواد»[5].

والأمر نفسه يؤكده الودغيري عن المعاجم المدرسية إذ يقول: «إن الآفة المشتركة بين جميع القواميس المسماة بالقواميس المدرسية التي ظهرت لحد الآن، هي أنها لم تكن على أي أساس علمي مدروس، ولا سيما اختيار مدونتها وانتقاء المناسب من رصيدها ومداخلها، ولم تكن تنطلق من تصور دقيق مبني على دراسة ميدانية إحصائية لمعرفة حاجات المتعلم بعد تحديد مستواه ونوعيته والهدف من تعليمه، ومن الصيغ والمفاهيم التي يستخدمها في مختلف أغراض الحياة، وإنما الغالب عليها أنها كانت تكتفي بالاحتكام إلى الذوق الشخصي والرأي الذاتي»[6].

وهناك عدة تآليف معجمية ظهرت في السنوات الأخيرة توجهت إلى فئات عمرية معينة؛ منها ما أُلّف لفئات صغرى ومنها ما أُلف لعموم الطلبة، ومنها ما صدر عن أفراد ومنها ما صدر عن مؤسسات.

سأتخذ «المعجم المدرسي المعاصر لمراحل التعليم الابتدائي والإعدادي» الصادر عن «نادية للنشر» سنة 2010، منطلقا لطرح وجهة نظري لكيفية بناء معجم مدرسي موسوعي للتلميذ المغربي بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية؛ نظرا لأهميته في طريقة اختيار الرصيد اللغوي المكون له. وسيتم مناقشة الأمر عبر محورين: المادة اللغوية ومنهجية الترتيب.

أولا - المادة اللغوية والرصيد المعجمي.

تشكل المادة اللغوية ركنا مهما في بناء المعجم المدرسي، لأنه لابد من مراعاة عنصر التواتر ومناسبتها لأعمار الفئة المستهدفة افتراضيا، ومن هنا تأتي صعوبة انتقاء هذه المادة.

يقول عبد الغني أبو العزم: «إن وضع رصيد لغوي وظيفي عمل يحتاج إنجازه إلى استيعاب الإشكالية اللغوية منذ المهد، وتتبع أطوار النمو اللغوي عند أطفال مختلف الشرائح الاجتماعية، ومراعاة الوسط القروي ومحيطه اللغوي في محاولة لوضع رصيد لغوي مشترك يحقق الوحدة اللغوية، هذا مع ضرورة الإحاطة بثقافة الطفل، وما يواجه من ثروة لغوية في شتى المجالات، من

آليات واختراعات وبرامج تلفزية وترفيهية وأفلام متحركة على اختلاف أنواعها ومواضيعها»[7].

وسأقف عند «المعجم مدرسي المعاصر لمراحل التعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي» الصادر تحت عناية وإشراف زكية عراقي سيناصر مديرة المناهج بوزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر. وقد وقع اختياري لهذا المعجم للاعتبارات الآتية:

- صدورُه عن مؤلفين مغاربة.

- تبنّيه لمنهجية رائدة، إذ اعتُمد في بنائه على مادة لغوية مستخلصة من نصوص الكتاب المدرسي، وهي مادة غزيرة بعد تبني التعدد في الكتاب المدرسي.

- لم يمر على صدوره أكثر من سنتين، لقد طبع المعجم سنة 2010.

وقد وضع مؤلفا «المعجم المدرسي المعاصر» مقدمة بسطا فيها منهجية عملهما، ومن بين الأسس المتبعة على مستوى جمع المادة نذكر:

- الارتكاز على ما توفّر من مادة لغوية بالكتاب المدرسي، إذ أشار المؤلفان إلى أنهما انطلقا: «من المعجم المتداول في الكتب المدرسية للسلكين الابتدائي والثانوي ليتجه بعد ذلك نحو التوسع بما يغني المستعمِل عن اللجوء إلى معاجم أخرى، ثم لأنه استند من بين ما استند إليه إلى المعاجم الموضوعة لمختلف المواد الدراسية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والتكنواوجيا وعلوم الحياة والأرض والاجتماعيات ..»[8].

- عدَّه المؤلِّفان معجما عصريا، «لأنه لم يكتف في إيراد الألفاظ بالتركيز على المستعمل المتداول بعيد عن كل غريب أو مهجور فقط، بل لأن التعريفات راعت التوسع في معاني هذه الألفاظ بإيراد المعاني العصرية التي اكتسبها بفعل الاستعمال اليومي في الميادين الصحافية والسياسية والاجتماعية والتقنية»[9].

- اعتُبر معجما مغربيا لأنه استفاد «من نتائج الجهود التي بذلها معهد الدراسات والأبحاث للتعريب... في مجال المصطلحات العلمية والتقنية، وتسمية وحيش المغرب وأسماكه والتعريف بها..»[10].

في جانب جمع المادة كان ينبغي الاستفادة من «العامي الفصيح» بإدراجه في المعجم وإن كان يبدو من الغريب على مستوى اللغة المكتوبة. ولما عَدَّ المؤلِّفان المعجم مغربيا كان لابد من تضمينه لألفاظ حضارية وجغرافية مغربية، إذ نجد غيابا لألفاظ مثل: سلهام – زليج – زربية - تيفناغ – مازيغ/أمازيغ – بحر الظلمات – زنجي – قفطان... وقد ذكرتُ هذه الأمثلة لأنها قد وردت في الكتاب المدرسي، فعلى مستوى الألبسة يمكن أن نستفيد مما كتب المستشرق دوزي في هذا الموضوع[11].

كما نجد غياب ألفاظ حضارية مهمة وقد وردت في الكتاب المدرسي؛ مثل: البردي – تنمية – مومياء – يراعة – باشا ...

وفي ذات الوقت غابت كلمات ذات صبغة راهنة في المجال الاقتصادي والسياسي مثل: عولمة – تنمية – دول نامية – العالم الثالث – الدول السائرة في طريق النمو .. مع التأكيد دوما على ورود ذكر لها في الكتاب المدرسي للغة العربية؛ وهذا يهز مصداقية قول مؤلفي الكتاب أنهما جعلا مادة الكتاب المدرسي منطلقا لمادة معجمهما المدرسي.

كما نجد عدم استيفاء المعجم لكثير من مواد علوم الحياة والأرض مثل: الاستنساخ – الجير .. إضافة إلى غياب أسماء النباتات التي تنمو على أرض المغرب، مثل: البُهْمى – الجرجير – القيصوم – الشيح – .. ومن الحيوان لا نجد: السرعوف (فرس النبي) – مكاء – بلبل..

ومثل هذا العمل يحتاج إلى تكاتف جهود الباحثين من ذوي التخصصات المختلفة، كأن تُحصر أسماء النباتات جهويا في إطار فرق بحث ثم تجمع وترتب ويوضع لها اسمها العربي وإلى جانبها اسمها العلمي تعميما للفائدة، مع إرفاقها بالصور لإزالة كل التباس.

ولم يستفد المؤلِّفان من كتاب «الرّصيد اللغوي الوظيفي»[12]، رغم ذكره في لائحة المصادر والمراجع، إذ نجد غياب بعض الكلمات من «المعجم المدرسي المعاصر» بينما ذكرت في «الرّصيد اللغوي الوظيفي»؛ من ذلك مثلا: «أنشودة» – «برنس» – «بَوْس» – «لُمْجة» – «بَشَر» بمعنى (كشط)، وهي للتذكير من العامي الفصيح، وفي ذات الوقت كان ينبغي الاستفاد مما وقع فيه كتاب «الرصيد اللغوي الوظيفي» من أخطاء، من ذلك ما أشار إليه عبد العلي الودغيري[13]؛ ذِكْرُ كلمة: «صندال» مع العلم أن لها مقابلها العربي، بينما نجد «المعجم المدرسي» يعيد الكلمة نفسها، وكذلك عدم ذكره لكلمة «تمثيل» والتي نبّه الودغيري على غيابها من «الرصيد اللغوي الوظيفي».

كما نجد غياب بعض الكلمات العامية ذات الأصول الفصيحة، مثل: بسّ – بزل – بغم – ثؤلول – جلم – جبّ ...

وهنا لابد من التأكيد على ضرورة وصل الحاضر بالماضي، ففي حضارتنا بالغرب الإسلامي وفي الأندلس بخاصة، اهتمام كبير بالتأليف في المعاجم المتخصصة[14] في مجال النباتات وذكر خصائصها، وكذلك كتب الفلاحة والأطعمة والأدوية.

يقول أحمد المعتصم: «ينبغي التذكير، وبشكل خاص، أن العربية شكلت اللغة العلمية للمجال المتوسطي. فقد كانت قادرة على التعبير عن المعادلات الأكثر تعقيدا حتى قبل ميلاد وتطور اللغة الفرنسية أو اللغات الأوروبية الأخرى. لذا، فليس هناك أدنى عقدة من التحدث عن حيويتها وتطورها

وقدرتها التنافسية إزاء بقية اللغات، عدا ربما الإنجليزية التي، بحكم هيمنتها، تدفع اللغات الأخرى إلى خوض صراع من أجل البقاء، مثلما يحصل خصوصا مع اللغات الأوروبية الكبرى كالألمانية والإسبانية، وسيما الفرنسية التي تدفع بآخر قواها لكي لا تختفي من الساحة الدولية»[15].

ونقترح ما يأتي لجمع مادة المعجم المدرسي ذي الصبغة الموسوعية، الذي قد يعود إليه التلميذ في كل لحظة وحين ليجد فيه ضالته:

– جرد كلمات الكتب المدرسية المقررة في المرحلة الابتدائية والإعدادية، وبخاصة اللغة العربية والاجتماعيات والتربية الإسلامية، أما المواد العلمية فنقترح أن يضمن المعجم الكلمات المفاتيح منها فحسب، وأن يسند أمر تحديدها لأساتذة كل مادة علمية على حدة، ممن لهم مراس في التدريس، ويؤازرهم في ذلك أساتذة اللغة العربية.

– حصر العامي الفصيح وطنيا، وبعد ذلك ينتقى منه ما يناسب أعمار التلاميذ.

– تُجرد الألفاظ والكلمات المتداولة في الرواية والشعر المغربيين.

– حصر أنواع النباتات والحيوانات التي بالمغرب، مع ضرورة الاستعانة بالصور، أثناء إدراجها في المعجم، إذ نرى أنه من الواجب على التلميذ أن يتعرف على نباتات وحيوانات بلده.

– في ارتباط بالنقطة أعلاه، ينبغي الاستفادة من كتب النباتات والأدوية والفلاحة والأطعمة المؤلفة قديما في المغرب والأندلس، ونذكر من ذلك: «عمدة الطبيب في معرفة النبات» لأبي الخير الإشبيلي، و«حديقة الأزهار في ماهية العشب» والعقار لأبي القاسم الغساني، و«تنقيح الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لابن البيطار، و«كتاب الفلاحة» لابن البصال، و«فضالة الخوان» لابن رزين ... وهي كتب تميز بها أهل الغرب الإسلامي.

– ضرورة إدراج الألفاظ الحضارية في المعجم سواء ذات الصبغة المحلية أو العربية.

– ضرورة أخذ الاحتياط من الألفاظ التي تلوكها الصحافة غير أنها تبعد كثيرا عن حقيقة أصلها.

– الاستفادة مما أَنْجَزَ معهدُ الدراسات والأبحاث للتعريب.

– الاستفادة من الرصيد اللغوي الوظيفي (للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي) القائمة العربية الفرنسية. الصادر سنة 1975 عن «الهيأة الاستشارية للمغرب العربي في التربية والتعليم، ولابدّ من تجاوز الهنات التي وقع فيها الكتاب، وقد نبّه عبد العلي الودغيري على بعض منها[16].

خاتمة:

إن إنجاز معجم بهذه المواصفات سيخدم التلميذ المغربي ويعمل على تطوير قدراته في استعمال اللغة العربية، خاصة أنه سيكون معجما موسوعيا يتخذ من جميع المواد التي يدرسها التلميذ المغربي أساسا له، ومع ما صار يتيحه مجال الإعلاميات من إمكانيات فمن الممكن أن يدرج مع المعجم الموسوعي قرص مضغوط ييسر عملية البحث عن المادة اللغوية وبأسرع وقت.

ثانيا- منهجية الترتيب.

أما من جهة ترتيب المادة اللغوية فقد تم اعتماد الترتيب الألفبائي وفقا لأوائل الكلمات دون مراعاة لجذورها، يقول مؤلفا المعجم المدرسي: «ترتيب الكلمات وفقا لحروفها الأولى، وليس وفقا لجذورها كما جرت العادة في المعاجم القديمة، الأمر الذي سيساعد الباحث على الوصول إلى معنى الكلمة بسهولة دونما حاجة إلى الاستعانة بقواعد الصرف والإملاء»[17]، غير أن لهذا الترتيب مساوئه فهو يبعد بين أطراف الكلمة ذات الجذر الواحد، ففي اللغات الاشتقاقية لا يكون لمثل هذا الترتيب نفع كبير.

ونرى أنه ينبغي الإبقاء على ترتيب الكلمات وفقا لجذورها، ولتسهيل عملية البحث يُرفق المعجم بـ «مسرد» يكتفي بذكر الكلمة ووضع جذرها أمامها.

فمثلا في الجذر «ورث» تدرج كل الكلمات المشتقة منه، مثل: «ورث» و«الإرث» و«التراث» و«الميراث»، وتشرح وتوضح معانيها، وتخضع في ذلك لنظام معين؛ كأن نبدأ بـ : فعل- مصدر-اسم فاعل اسم مفعول – اسم زمان – اسم مكان – اسم تفضيل - اسم مرة – اسم هيأة.

وفي «المسرد» نذكر كلمة الإرث في باب الهمزة، وأمامها جذرها هكذا:

- الإرث: ورث.

وفي باب (التاء) تذكر «التراث» وأمامها جذرها (ورث) هكذا:

- التراث: ورث.

فإذا عجز التلميذ عن التوصل إلى جذر الكلمة في بداية الأمر يلجأ إلى «المسرد» فيدله بسهولة على موقعها.

و«المسرد» يحل إشكال الكلمات الدخيلة والمعربة[18] التي يقع الاختلاف في تحديد تحت أي جذر تندرج، لأنه في حالة صعوبة التوصل إلى مكانها يكون «المسرد» هاديا لمكان الجذر الذي وُضعت تحته.

وأنبه على أن بالكتاب كثير من الأخطاء في ترتيب الكلمات ومن ذلك الصفحات الآتية:

- ص: 532؛ «لَفَحَ» – «لَفَظَ» – «لَفَعَ» – «لَفْظَةٌ» – «لَفْظٌ»، وكان يجب ألا يفصل بين «لَفَظَ» وبين «لَفْظ» بأية كلمة.

- ص: 651؛ كلمة: «هشَّ» وبعدها «هشم» ثم «هشٌّ».

– ص: 655؛ «هيِّن» «هتاف» «هجنة»، فحَقُّ «هيِّن» أن تكون بعدهما، لم يعر اهتمام لثوان الكلمات في الترتيب.

فهذه بعض الأمثلة على الاختلال في ترتيب الكلمات.

أما في معاني الكلمات فلابد من توخي الدقة، فقد شُرِحَت كلمة «نشَّال ب: «لص يختلس أموال الناس بخفة»، ويبدو التأثّر بالعامية المصرية جليّا في هذا الشرح.

ومن الأخطاء في الشرح نذكر؛ بل: حرف عطف بمعنى لكن.

نرى أن الحاجة صارت ملحة من أجل إعداد «معجم مدرسي» موسوعي يستجيب لتطلعات التلميذ المغربي، مبني على أسس واضحة، قد أجملنا أغلبها في النقط أعلاه، يساهم في تأليفه مدرسون باحثون لهم تخصصات مختلفة، معجم يعود إليه التلميذ في كل لحظة وحين، ويُلبّي حاجته ليس في مادة اللغة العربية فحسب، وإنما يغطي المواد جميعها الأدبية منها والعلمية والفنية، إنه وضع يطور مدارك التلميذ، ويسهم في تطوير اللغة العربية الفصحى، «لقد آن أن تصبح اللغة العلمية العربية جزءا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع وأن تغدو مصطلحات العلم والحضارة باللغة العربية قسما حيويا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحافي والأديب وصاحب الاختصاص الفني»[19]. وخاصة أن جهودا كبيرة بُذلت في العالم العربي على مدى عقود من أجل وضع المصطلحات العلمية والتقنية.

لقد تقرر تخصيص حصة من «علوم اللغة» للمعاجم بالسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، ونرى أنها فترة متأخرة، ففي هذه المرحلة ينبغي أن يكون التلميذ قد أتقن استعمال المعجم المدرسي، فإذا ما أُنجز المعجم المدرسي بالمواصفات المذكورة يمكن لوزارة التربية الوطنية أن توصي باستعماله في نهاية المرحلة الابتدائية والإعدادية، على أن يُعَدَّ الدرس المخصص في علوم اللغة «للمعاجم» في السنة الثالثة استكمالا المرحلة السابقة، وذلك بالتوسع في استعمال المعاجم الأخرى القديمة أو غيرها، وخاصة في ما يتعلق بكيفية البحث فيها، نظرا للاختلاف في طرق ومناهج ترتيبها وبنائها.

خاتمة

إذا ما أنجز المعجم المدرسي بالمواصفات التي ذكرنا، وتمت برمجته في قرص مدمج سيتيسر البحث فيه انطلاقا من طلب الكلمة المراد البحث عنها، فيقدم الحاسوب الشرح للتلميذ في أسرع وقت. ولإنجاز هذا الأمر كما أشرت نحتاج إلى تكاتف الجهود، من طرف مجموعة من الباحثين ذوي التخصصات المختلفة، من لغة عربية ومواد علمية وإعلاميات...

المراجع

1 ـ ينظر: المعجم المدرسي أسسه وتوجهاته. عبد الغني أبو العزم. مؤسسة الغني للنشر. الرباط. ط: 1. 1997. ص: 35 وما بعدها.

2 ـ ينظر: المعجم العربي. نشأته وتطوره. حسين نصار. دار مصر للطباعة. ط 4. 1988. 2/568.

3 ـ ينظر المرجع نفسه: 2/696.

4 ـ مكانة الرصيد المعجمي في تنمية القدرات التعبيرية والتواصلية. عبد العزيز العماري. أعمال اليوم الدراسي: دور المعجم في تعليم اللغة العربية وتعلمها. جامعة مولي إسماعيل. كلية الآداب والعيوم الإنسانية. مكناس. سلسلة ندوات: 24. 2009. ص: 18.

5 ـ أزمة اللغة العربية في المغرب بين اختلالات التعددية وتعثرات الترجمة. عبد القادر الفاسي الفهري. ص: 49.

6 ـ دراسات معجمية – نحو قاموس عربي تارخي وقضايا أخرى- عبد العلي الودغيري. ص: 234.

7 ـ المعجم المدرسي – أسسه وتوجهاته. عبد الغني أبو العزم. مؤسسة الغني. الرباط. ط1. 1997. ص: 332.

8 ـ المعجم المدرسي المعاصر- لمراحل التعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي. نادية للنشر. الرباط. ط1. 2009/2010. ص: 8.

9 ـ م نفسه. ص: 8.

10 ـ المعجم المدرسي المعاصر- لمراحل التعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي. ص: 9.

11 ـ ينظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي. ترجمة: أكرم فاضل. مجية اللسان العربي. المكتب الدائم لتنسيق التعريب. جامعة الدول العربية. الرباط. المجلد9. ج2. ص: 10.

12 ـ الرصيد اللغوي الوظيفي (للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي). القائمة العربية الفرنسية. تأليف اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي. وكانت تتكون من: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب جامعة محمد الخامس (المغرب)، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية جامعة الجزائر (الجزائر)، وقسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية جامعة تونس (تونس). الطبعة الأولى: 1975.

13 ـ دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى- عبد العلي الودغيري. ص: 241.

14 ـ ينظر: مسائل في المعجم. إبراهيم بن مراد. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 1997. ص: 156. وأيضا: 186.

15 ـ اللغات المغاربية في مواجهة التفوق الثقافي الأوروموتوسطي. أحمد المعتصم. ترجمة بشير تامر. مجلة المدرسة المغربية. ع/3. مارس2011. ص: -75 76 .

16 ـ دراسات معجمية: نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى- عبد العلي الودغيري. ص: 239.

17 ـ المعجم المدرسي المعاصر- لمراحل التعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي. ص: 5 – 6.

18 ـ ينظر في قضية الصعوبة والاختلاف في ترتيب هذه الكلمات في المعاجم العربية منذ القديم كتاب: مسائل في المعجم. إبراهيم بن مراد. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط 1. 1997. ص: 222.

19 ـ وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة العربية. أحمد شفيق الخطيب. مجلة اللسان العربي. المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي. جامعة الدول العربية. الرباط. المجلد9 – الجزء2. ص: 4.